أجيب:

بأن تسجيل زلتهم يدل على:

١ ـ صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء لشيء منه.

٢ ـ إن الأنبياء على جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنى زلة، فعلى الناس ـ وهم أدنى مرتبة منهم بكثير ـ أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.

٣ ـ إن الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا تكفّر الإنسان[١].

***

الصفة الثانية
التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أُمروا بتبليغها إلى المرسَل إليهم[٢]، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكلٌّ منهم لم يُخفِ عن الناس من ذلك شيئاً عمداً أو سهواً[٣].

وأقسام الموحى به ثلاثة:

١ ـ قسم أُمروا بكتمانه. فهو خاص بينهم وبين ربهم.

٢ ـ قسم خُيِّروا فيه بين التبليغ وعدمه.

٣ ـ قسم أُمروا بتبليغه.

وهذا القسم (الأخير) هو الذي بلّغوه إلى مَن أُرسلوا إليه، لأنهم مأمورون بتبليغه، لوجوبه عليهم[٤].

---

(١) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٨.

(٢) الدَّرْدِير على الخريدة ص١٠٨.

(٣) رسالة في التوحيد للطائي ص٦٨.

(٤) الصاوي على الدردير ص١٠٩ ورسالة في التوحيد السابقة.

والدليل العقلي على وجوبه:

١ ـ أنهم لو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان العلم، لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، مع أن الأحاديث صريحة في أن كاتم العلم ملعون[١].

٢ ـ أنهم لو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه، لكانوا خائنين، مع أنهم معصومون عن الخيانة[٢].

٣ ـ أنهم مبشرون ومنذرون، لقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ.

٤ ـ لو أنهم كتموا ما أُمروا بتبليغه لكانوا ملعونين بنص الكتاب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٥٩][٣].

والدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٤] [المائدة: ٦٧].

* * *

الصفة الثالثة
الفَطانة

هي: التيقُّظ والتفطُّن وحِدّة العقل والذكاء وسدَاد الرأي.

فكل رسول ونبي تجب له هذه الصفة، فلا يجوز أن يكون مغَفَّلاً أو بليداً أو أبله[٥].

---

(١) الباجوري على الجوهرة ج٢ ص٢٥.

(٢) الدردير ص١٠٨ ورسالة في التوحيد ص٦٩ ولوامع الأنوار ج٢ ص٣٠٨.

(٣) الدردير ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(٤) الدردير ورسالة في التوحيد السابقان.

(٥) الدردير على الخريدة ص١٠٨ والباجوري على الجوهرة ج٢ ص٢٥ ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٧.

الدليل العقلي على وجوب هذه الصفة للأنبياء:

١ ـ لأنهم أُرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شُبَه المجادلين، ولا يكون ذلك من البله أو من المغفلين[(١)].

٢ ـ لأنهم ساسة الجميع ومرجعهم في المشكلات[(٢)].

٣ ـ لأننا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليداً.

٤ ـ والبلادة والغفلة صفة نقص، تخل بمنصبهم الشريف[(٣)].

والدليل النقلي عليها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

٢ ـ وقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [صَ: ٢٠].

٣ ـ وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلا من فطن ذكي[(٤)].

❊ ❊ ❊

الصفة الرابعة
الذكورة

اتفق العلماء على أن الذكورة شرط في النبي، فلا يجوز أن تكون المرأة نبية، بل إن بعضهم[(٥)] نقل الإجماع على هذا القول. ومن أدلة هذا الشرط ما يأتي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩].

ب ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩].

---

(١) الدردير والباجوري السابقان ورسالة في التوحيد للطائي ص٧٠.

(٢) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٨ والمسامرة ص٢٢٦.

(٣) الدردير ورسالة في التوحيد السابقان.

(٤) الباجوري ج٢ ص٢٥ ورسالة في التوحيد السابقان.

(٥) نقل الإجماع على عدم نبوة النساء الكرماني في شرح البخاري/ حاشية المرجاني ج١ ص٩.
وحكى الإجماع على عدم نبوة مريم، البيضاوي وغيره/ المسامرة ص٢٣١. وتفسير البيضاوي ص٦٨.

جـ ـ النبوة والرسالة تقتضي: الاشتهار بالدعوة، والتردد إلى مجامع الناس، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء. والأنوثة توجب الستر، فبينهما تنافٍ.

د ـ لأن النساء لا يصلحن للإمارة والسلطنة والقضاء وإقامة الصلاة بالإجماع.

أما الأشعري والقُرْطبي وبعض أهل الظاهر فلم يشترطوا الذكورة في النبي، وقالوا بنبوة مريم، مستدلين:

باصطفاء الله تعالى لها بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وبإرسال الروح إليها بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧].

وقالوا بنبوة أم موسى مستدلين:

بوحي الله تعالى إليها، بقوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

ورد الجمهور على هذا الزعم قائلين:

إن اصطفاء مريم وإرسال جبريل إليها لم يكن وحياً بشرع، إذ لا دلالة عليه في الآيات المذكورة. والوحي إلى أم موسى لا يراد به إلا معنى الإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ . . .﴾ [النحل: ٦٨][1].

* * *

الصفة الخامسة
السلامة من النقائص

وأعني بهذا الشرط الأمور الآتية:

أ ـ أن يكون سالماً من نقص الخلقة:

فشرطه أن يكون أكمل أهل زمانه خَلْقاً حال الإرسال (أي حال بعثه إلى الناس).

وقد يعترض بعقدة لسان موسى عليه السلام، فيجاب:

(١) المسامَرة وابن قُطلوبُغا على المسايرة ص٢٣٠ ـ ٢٣١ والمَرجاني السابق ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٦.

بأن عقدة لسان موسى عليه السلام كانت قبل الإرسال، وأزيلت بدعوته عند الإرسال، بدليل:

دعاء موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى إليه، وأمره بالدعوة قال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧ ـ ٢٨]، فأجابه تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦][١].

ب ـ أن يكون سالماً من:

العيوب المنفرة للطباع من الأمراض والأسقام كالبرص والجذام. وقد يعترض ببلاء أيوب عليه السلام الذي أصيب بداء جلدي نفّر الناس منه، فيجاب:

بأن بلاءه كان قبل نبوته عليه السلام، وقد زال بعدها، قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

جـ ـ أن يكون سالماً من دناءة الصناعة كالحجامة.

ومن قلة المروءة كالأكل على الطريق[٢].

وهذا مبني على تقدير: أن العُزْف كان يستنكر ذلك[٣].

د ـ أن يكون سالماً من الفظاظة والغلظة[٤].

لأن قسوة القلب موجبة للبُعد عن الله تعالى، إذ أنها منبع المعاصي، لأن القلب هو المُضْغَة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الحديث الصحيح. وفي الحديث الذي حسّنه التّرمذي ورواه البَيْهَقي: «**إن أبعد الناس من الله القلبُ القاسي**»[٥].

ولأن الغلظة والشدة وعدم اللين مع الناس، يوجب النفرة من النبي، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) المسايرة والمسامرة ص٢٢٦.

(٢) المسايرة والمسامرة السابق وشرح المقاصد ج٢ ص١٩٨ ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٧ والوسيلة ص٦٩٣.

(٣) المسايرة والمسامرة ص٢٣٢.

(٤) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٨ ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٧.

(٥) المسامرة ص٢٢٦. والحديث في سنن التِّرمذي ـ كتاب الزهد ـ باب أبعد الناس من الله القلب القاسي ج٧ ص١٣٠.

هذه الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كمال إنساني، وتنفي عنهم كل نقص بشري.

لأن النبوة أشرف مناصب الخلق، ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها.

لذا:

فإن من المستحيل اتصافهم بأضداد هذه الصفات المذكورة، كالكذب والكفر وارتكاب الذنوب والكتمان والبلادة وعدم السلامة من العيوب وغيرها من الأمور التي تُخِلّ بالشخصية، وبالتالي تُخِلّ بحكمة بعثهم رسلاً مبشرين ومنذرين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑